الدَّلَالَةُ النَّفْسِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيـمِ
سُورَةُ الْوَاقِعَةِ إِخْتِيَارًا

م.م باسم شعلان خضير

المديرية العامة لتربية النجف الاشرف

Psychological significance in the Holy Qur'an Surat Al-Waqi'ah by choice

Basem Shaalan Khudair

General Directorate of Education in Najaf

الملخص

تعد الدلالة النفسية من الاستراتيجيات التي سلكها القرآن الكريم وهي منوطة بالإعجاز النفسي وهي من أبرز الدعامات التي يعتمدها الخطاب القرآني، وأكثرها محورية وتأثيراً، وحضوراً على امتداد المساحة القرآنية، إذ يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الدلالة النفسية وأركانها وأهميتها وآليات توظيفها عبر الوقوف على آياتها ومقاربتها بالتحليل؛ لتقفي أثر الدلالة النفسية وظلالها في السياقات النصية لسورة الواقعة المباركة.

Abstract

Psychological significance is one of the strategies pursued by the Holy Qur'an and is entrusted with psychological miracles and it is one of the most prominent pillars of the Qur'anic discourse and the most central and influential and present throughout the Qur'anic space as the research aims to shed light on the concept of psychological significance its pillars its importance and the mechanisms of its use by standing on its verses Approach it with analysis; To trace the psychological significance and its delusion in the textual contexts of Surat Al-Waqi›ah .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد...

إنَّ الخطاب على اختلاف أنواعه ينهض على استراتيجيات متنوعة، يستثمرها المخاطب بغية التأثير في المتلقي، والقرآن الكريم في خطابه الجليل لا يخرج عن هذه القاعدة؛ إذ يوظف الخطاب الإلهي استراتيجيات عدّة، تتنوّع بتنوّع السياقات النصية القرآنية، ولعلَّ أبرز تلك الاستراتيجيات الاستراتيجية النفسية التي تشكل إحدى أهم الاستراتيجيات التي ينهض عليها الخطاب القرآني.

إن أهم ما يميز الاستراتيجية النفسية في القرآن الكريم أنَّها منوطة بالإعجاز النفسي الذي يمثل بدوره أحد أبرز وجوه الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم. وعليه يمكن القول إن قلنا إن الدلالة النفسية من الدلالات المهمة في النص القرآني، وهي تقارب اهميتها تلك الدلالات وما ينسجم معها.

تأتي أهميّة البحث من أهمية العينة المختارة، وهي قبس من آي القرآن الكريم (سورة الواقعة)، ومن طبيعة الطرح المغايرة التي تتناول السورة الكريمة من وجهة نظر نفسية.

كما يطرح البحث إشكالية الدلالة النفسية وأثر ظلالها النفسية في تلقي الخطاب الإلهي من خلال تسليط الضوء على ميكانيزمات الدلالة النفسية المعتمدة في سورة الواقعة أنموذجاً، ويحاول البحث الإجابة عن تساؤلات عدة أبرزها:

ما الدلالة النفسية؟ وما أركانها؟ وما أهميتها؟ وما أسبابها؟

ما دور الدلالة النفسية في عملية التلقي للخطاب القرآني؟ وما أبرز الأغراض التي أدتها الدلالة النفسية في سورة الواقعة؟

كما يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الدلالة النفسية وأركانها وأهميتها وأسبابها. كما يهدف إلى توضيح الدلالة النفسية في السورة الكريمة وآليات توظيفها عبر الوقوف عند نماذج مختارة من السورة ومقاربتها بالتحليل، لتقفي أثر الدلالة لنفسية وظلالها في السياق القرآني.

وقد انتظم البحث على مبحثين وخاتمة تلتها قائمة المصادر والمراجع، فتناول في المبحث الأول محورين ١- مفهوم الدلالة النفسية وأركانها ٢ – أهمية الدلالة النفسية وأسبابها. وفي المبحث الثاني تناول تطبيقات من سورة الواقعة في الدلالة النفسية .

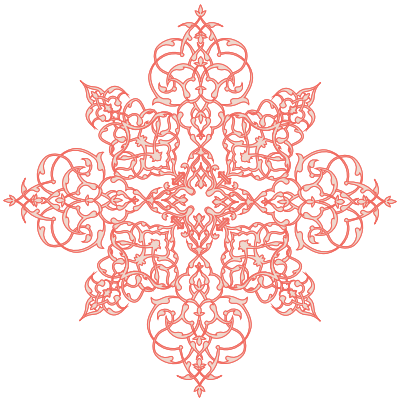

المبحث الأول: الدلالة النفسية:

مفهوم الدلالة النفسية وأركانها:

الدلالة لغةً:

تشير الدلالة في اللغة إلى معان عدة وتدور حول الإبانة، والإيضاح، والهداية؛ فالمادة (دلل) التي اشتقت منها لفظ الدلالة معناه إبانة الشيء بإمارة تتعلمها[١]. وجاء في لسان العرب: أدله عليه، ودلّه على الشيء يدلّه، ودلالة، فاندل: سدده إليه، فالدلالة هي ما يستدل به، وقد دلّه على الطريق يدلّه دِلالة ودَلالة، والفتح أعلى[٢].

الدلالة اصلاحًا:

ذكر التهانوي أن الدلالة في مصطلح أهل الميزان = (المنطق) والأصول والعربية والمناظرة هي أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر[٣].

مفهوم الدلالة النفسية:

تعرف الدلالة النفسية على أنّها أحد أهم المعاني التي تصحب عملية الكلام[٤]. أو

(١): ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة(دلل).

(٢): ينظر ا بن منظور، لسان العرب، مادة (دلل).

(٣): التنهانوي كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٧٨٧.

(٤): ينظر: احمد مختار عمر علم الدلالة: ٣٦-٣٩.

ما ينضوي تحت اللفظ من دلالات عند الفرد؛ وعليه فهي معنى فردي ذاتي[١].

ويطلق على الدلالة النفسية تسميات عدة منها الدلالة الإضافية، والدلالة الهامشية، ويقصد بها وهي» تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد، وتجاربهم، وأمزجتهم، وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم»[٢].

في الواقع إن الدلالة تختلف عن المعنى؛ فالدلالة أشمل من المعنى وأكثر اتساعاً، وبين الدلالة والمعنى عموم وخصوص، بتعبير آخر إن كل دلالة معنى وليس كل معنى دلالة بالضرورة[٣].

أما طبيعة العلاقة التي يناط بها المعنى والدلالة فتتصف بكونها علاقة سببية؛ بتعبير آخر إن المعنى ناتج عن الدلالة، وتمثل الدلالة الطريق المؤدية إلى المعنى[٤]، وعليه يشكل كل من الدلالة والمعنى «طرفان يحيل أحدهما على الآخر»[٥].

يحيل كل من الدلالة والمعنى إلى الآخر في حركة تقابلية تناغمية توحي باتحادهما، وتلك الحركة التناغمية، والإحالة المستمرة بين هذين الطرفين هي ما يجعل البحث الدلالي عملية ذهنية[٦].

وعليه تكون العلاقة بين الدال والمدلول علاقة ذهنية غير مباشرة [٧]، ثم تقوم الإشارة اللغوية بتوحيد القطبين الرئيسين؛ الدال (اللفظ)، والمدلول (الفكرة)[٨]، وذلك عن طريق عملية استرجاع للعلاقة الذهنية التي تربط بينهما ربطاً ذهنياً نفسياً[٩].

(١): ينظر: عواطف كنوش المصطفى الدلالة السياقية عند اللغويين: ٥١.

(٢): إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٠٧.

(٣): ينظر: نوال زرزور، ابن جني وعلم الدلالة، ص ٥٢ .

(٤): ينظر محمد جعفر العارضي، الأثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن الكريم، ص ٨ .

(٥) :جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص ٢٧ .

(٦): ينظر محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص ١٦٨.

(٧): ينظر ستيفن اولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٦٢ -٦٣.

(٨): ينظر بسام بركة، اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية، ص ٦٧.

(٩): ينظر محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص ١٧٩ .

يسيطر الترابط النفسي على الظاهرة اللغوية بكل مراحلها ابتداء من النشأة والسلوك[١]، مروراً بالتعبير، وانتهاء باختيار عناصر الأداء[٢] وأدواته. وقد درج الباحثون على تمثيل تلك العلاقة بما عرف بمثلث أوجدن:

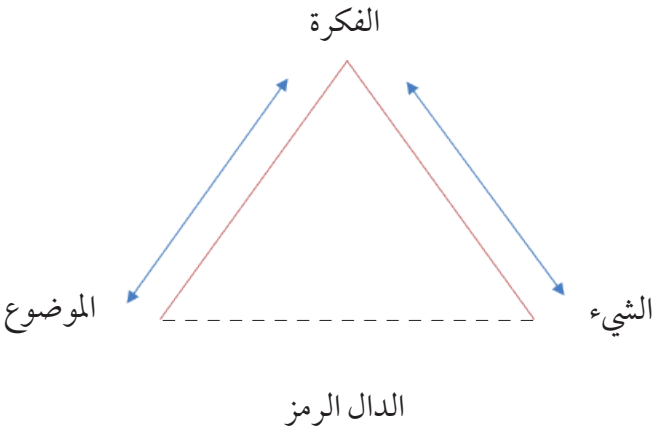

تبدأ دورة مثلث أوجدن بجب بالفكرة أو الرمز الذهني، أو مايعرف أي عن طريق بالمحتوى العقلي الذي يتم استدعاؤه عن طريق الكلمة والذي يرتبط بالشيء بدوره[٣]. والربط الذهني كثيراً ما يشتمل على نغمة الإحساس[٤] والانفعالات[٥] وربقة من هواجس الذات ومكنوناتها، ذلك أنّ الكلمة تمتلك «سيكولوجيّةً خاصّةً تجعل اللفظَ بديلاً عن الشيء المقصودِ واللفظ بهذا المفهوم لا يعبّر عن الشيءِ بل يعني جميع صفاته وخصائصه وأبعاده النفسيّة»[٦].

(١) :ينظر: محمود السعران، علم اللغة. مقدمة للقارئ العربي، ص ٣٣٨ .
(٢): ينظر: داود عبدة، دراسات في علم اللغة النفسي، ص ٤١-٤٤ .
(٣): ستيفن اولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٦٤ .
(٤): ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص٢٧٦.
(٥): ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٥٤ .
(٦): سمير أبو حمدان الإبلاغيّة في البلاغة العربية ص١٣ .

على هذا النحو تدخل الدلالة النفسية في عمليات الربط بين قطبي الدلالة الرئيسين (الدال والمدلول)،وترخي سدولها على عمليات الربط الذهني وفاعلياته.

أهمية الدلالة النفسية وأسبابها:

تكمن أهمية الدلالة النفسية في نقاط عدة يمكننا إجمالها في الآتي:

أنّ المعنى الإضافي أو المعنى الهامشي – كما يحلو لبعضهم تسميته – هو المعنى الذي يؤديه اللفظ بالإضافة إلى دلالته المركزية أو الرئيسة ومعناه التصوري؛ ذلك أن كل كلمة أيّاً كانت هذه الكلمة تحرك أو تحفز في الذهن صورة ما بهيجة أو حزينة رضية أو كريهة، كبيرة أو صغيرة، معجبة أو مضحكة، وهي تقوم بذلك بمعزل عن المعنى الذي تؤديه، وقبل أن يُعرف هذا المعنى في أحايين كثيرة[١]. والأمر منوط بأبعاد التخييل والإيحائية التي يكتنزها، وبدوافعه النفسية، وما يحفزه من جملة استجابات موائمة[٢] للمواقف والسياقات المتنوعة.

تؤدي دوراً مهماً في التحكم بالقوى الشعورية عند الإنسان وقيادتها، وتمثل مقياس التأثر النفسي، وميزان التجاوب الداخلي عكساً واطراداً، حتى كأن الأمل، اليأس، والرهبة، والرغبة، والتحذير، والإنذار، والاعتبار جميعها محض مجال لأبعادها الموضوعية[٣].

أنّ الدلالة النفسية تضيف إلى اللغة جانباً مهماً ومحورياً وفاعلاً من جوانب فاعلية اللغة وأثرها[٤].

في كثير من الأحيان تتجلى الدلالة المركزية واضحة في أذهان الناس جميعهم

(١): ينظر: هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص ١٤٥ .

(٢): ينظر: مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ص ١٥٣ – ١٥٩ .

(٣): محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص ٣٤٩.

(٤): محمد جعفر محيسن،الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم،ص ٢٦.

بوضوح، وقد تخفى عليهم وتصبح غامضة، وهذه الدلالة أشبه ما تكون بتلك الدوائر التي يحدثها إلقاء حجر في الماء، فما يتشكل منها أولاً يعد بمنزلة الدلالة المركزية للألفاظ، يتموضع فهم بعض الناس منها في نقطة المركز، وبعضهم في أطراف الدائرة أو على حدود محيطها، ثم تأخذ تلك الدوائر بالاتساع لتصبح في أذهان القلة من الناس وقد انضوت على ظلال من المعاني لا يقاسمهم فيها أحد سواهم[١].

تؤدي الألوان المعنوية أو الظلال المعنوية التي تحيق بالمدلول الرئيس وتتمتع بطبيعة عاطفية أو انفعالية وجدانية دوراً مهماً في إحاطته بالمزيد من الغموض والإبهام[٢] أو استجلائه وزيادة وضوحه[٣].

تسلط الدلالة اللغوية الضوء على مكمن من مكامن عبقرية اللغة، ودقة سياسة المعنى فيها، وإتقانها[٤].

أنّ الظلال الدلالية في الواقع لاتفارق عن الألفاظ البتة، حتى أنها تكاد – في كثير من الأحيان – تضر بدلالة الألفاظ الرئيسة أو المركزية، وتزحزحها عن مكانتها الراسخة في أذهان جماعة المتكلمين[٥].

أبرز أسباب الدلالة النفسية:

ثمة أسباب عدّة تكمن خلف الدلالة النفسية وتدفع إلى الاهتمام بها ويمكننا إجمال أبرزها بالآتي:

إنّ العناصر العاطفية والانفعالية في حقيقتها هي جزء لا يتجزأ من النظام اللغوي[٦]

(١): إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ،، ص ١٠٦ .

(٢): ينظر :ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة،ص ٩٧ .

(٣): ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ،ص ١٠٧ .

(٤): ينظر: محمد جعفر محيسن،الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم،ص ٢٦.

(٥): ينظر: المرجع السابق، ص ١٣.

(٦): ستيفن أولمان، در الكلمة في اللغة، ص ٩٦.

وليس منبت الصلة عنه ليجري في سياق مستقل.

أنّ الدلالة اللغوية بصورة عامة وعلى اختلاف أبعادها مثقلة بالفكر الذي يود المتكلم نقله إلى المخاطبين عن الشيء[١] أو الموضوع الذي يتحدث عنه.

إنّ معاني الكلمات لا يمكن تحديدها بالقيم التجريدية العامة المشار إليها في القواميس والمعجمات وحسب، بل ثمة ظلال من المعاني النفسية والعاطفية المتباينة والمتنوعة تغلف الكلمات، وتمنحها ألواناً مؤقتة من جملة الأحاسيس والأخيلة التي تمثل قيمتها التعبيرية[٢].

أنّ الانفعالية في اللغة تترجم نفسها وفق صورتين رئيستين:

١- اختيار الكلمات من على محور الاختيار.

٢- تموضعها في الجملة.

بتعبير آخر إن منبعي يعني الانفعالية الرئيسين هما المفردات والتنظيم[٣].

في الحقيقة إن تصور سهولة تقرير معاني الكلمات يشكل هوة خطيرة يسقط فيها الكثيرون، وبخاصة إن كانت تلك الكلمات شائعة بين الناس وكثيرة التداول[٤].

كثير من الخطابات ومن جملتها الخطاب القرآني لا يتكئ إلى العقل، والحجة، والدليل والبرهان والحس وحسب، بل يتكئ أيضاً إلى مناطق أخرى في النفس البشرية منها: منطقة الوجدان، والضمير، والفطرة؛ وفي حالة الخطاب القرآني لايقوى الذهن البشري بطبيعته المحدودة والضيقة على أداء مهمة تلقيه منفرداً، وذلك مرده إلى ما ينضوي تحت هذا الخطاب من أمور تتصل بالغيب المجهول[٥] والماورائيات التي لا

(١): لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب - بحث فلسفة اللغة والاستطيقا، ص ٦٧.

(٢): محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي،ص ٩٢ .

(٣): جوزيف فندريس،اللغة، ترجمة:عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، ص ١٨٦ .

(٤): مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، ص ١٥١.

(٥): صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب، ص ٣٧٧.

يعلم كنهها إلا خالقها.

إنّ وظيفة الكلمة في اللغة تكمن في خلق استجابات متباينة ومتنوعة وفق ما تفعله الأشياء التي تكون الكلمات بدائل لفظية عنها[١] تنوب منابها.

كثير من الألفاظ لها وقع خاص يستحوذ على النفس.

يوحيه، يمكننا وصف ذلك بأنه مجال الانفعالات النفسية، والتأثير الداخلي للإنسان[٢]، ومنه تنشأ الدلالة النفسية للألفاظ.

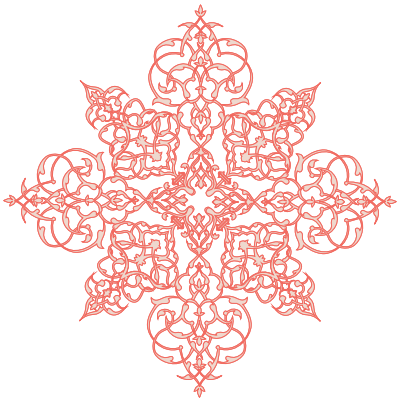

(١): ينظر: جون لا ينز، علم الدلالة. ص ٦٤ – ٦٥.

(٢): ينظر: محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية،ص ٢٣٧.

المبحث الثاني: تطبيقات من سورة الواقعة في الدلالة النفسية

سنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على الدلالة النفسية في نماذج مختارة من سورة الواقعة، وتوضيح أثرها وفاعلياتها في السياقات النصية المتنوعة.

مثال١:

قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾[1].

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة، وقيل المراد: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة، ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ أي ليس لمجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾: أي لغواً، والمقصود أنها تقع صدقاً، وحقاً، والكاذبة اسم كالعافية والنازلة. ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: يعني أنها تخفض أقواماً إلى النار، وترفع أقواماً إلى الجنة، وقيل المراد إنها تخفض أقواماً كانوا في الدنيا في مقام مرتفع، وترفع أقواماً آخرين كانوا في الدنيا مستضعفين، وفي مقام منخفض. ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾: أي تحركت، وزلزلت زلزالاً، وقيل المقصود: ترجّ الأرض كما يُرجُّ الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها، وينكسر ما نهض فوقها من الجبال وغيرها. ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾: أي فتت فتاً، فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول، ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾: أي كانت غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة، وهو الهباء[2].

(١): الواقعة: ١ – ٦.

(٢): ينظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل –تفسير البغوي، ١٤/ ٧.

دلالة الآيات النفسية:

يصوّر الخطاب الإلهي مشهداً من مشاهد أهوال يوم القيامة، فيتكئ إلى تفعيل تقنية ترتبط بالدلالة النفسية ونقصد الاستراتيجية النفسية بصورة رئيسة، ويضفي عليها طابعاً دينامياً حركيّاً فعّالاً، بغية المزيد من التأثير.

نحن نعلم أن الاستراتيجيّة الديناميّة النفسيّة تنهض على نوعين رئيسين من العوامل؛ عوامل عاطفيّة، وعوامل إدراكيّة، وتعمد الاستراتيجيّة النفسية الدينامية إلى جعل الإثارة الانفعاليّة مرتبطة بأنماط سلوكية معينة. وحقيقة إن العواطف تشكّل الأساس البيّن للاستراتيجيّة النفسية، بيد أن استعمالها يبقى مؤطراً ضمن حدود مواقف محددة تتصل بالجوانب الإنسانيّة. من جهتها تمثل العوامل الإدراكيّة أحد أبرز المؤثّرات على السلوك الإنسانيّ، وبناء على ذلك، إذا طرأ تغيير على هذه العوامل، سينجم عنه بالضرورة تغييرات في السلوك[1].

إنّ الدلالة النفسية للتراكيب والألفاظ المختارة في الخطاب الإلهي المذكور آنفاً تصب جميعها في حقل الترهيب، وإثارة عواطف الخوف لا لغاية إثارته، وبث الرعب في النفوس وحسب، بل لغاية عليا وعظية، دينية في المقام الأول، تدفع بالمتلقي إلى التأمل والتراجع عن السلوكيات المرفوضة دينياً قبل فوات الأوان.

تتوالى الصور التي تبث الرعب في النفوس، وتتعاقب في إطار مشهد بانورامي كلي متلاحم اقتطف من مشاهد كثيرة لأهوال يوم القيامة، وحسب المتلقي أن يتخيل الأرض تزلزل من تحته ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾، والجبال تتفتت ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾ حتى تصبح غباراً متناثراً ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾.

أنّ الآيات الكريمات تصوّر مشاهد غيبية ما ورائية ولأن الحدث المهول يفوق إدراك الإنسان المحدود يلجأ الخطاب الإلهي إلى صب الأحداث في قوالب لغوية تتعاضد فيها

(١): ينظر: ملفين ديلفر وساندرا بول، نظريات الإعلام، ص ٣٨٤.

الحسية مع الحركية لترسم الصورة الجزئية التي تشكل بدورها عنصراً فعّالاً يساهم في رسم الصورة الكلية بحيويتها، وحركيتها، وعظيم أثرها.

تحمل غالبية الألفاظ المختارة في النص القرآني الجليل دلالة نفسية مباشرة، نذكر على سبيل المثال (بسّت – رجّت – هباء – منبثّاً)؛ إذ تحمل تلك الألفاظ ظلالاً نفسية، تلقي بثقلها على نفس المتلقي الذي يضيق به الأفق عند استحضار الصور المقدمة (أرض تزلزل – جبال تتفتت وتتطاير)، وتمتلأ نفسه رعباً ووجلاً.

وبعض العبارات حمل دلالة نفسية غير مباشرة من مثل قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ والتي تحيل إلى تغير الأحوال، ويقصد بذلك هنا أحوال الناس في هذا اليوم بعد حشرهم للحساب، ونيلهم مايستحقونه من جزاء على أعمالهم الخيرة، وإيمانهم واتباعهم الهدى، وعقاب على ضلالهم وكفرهم، وغيّهم، وآثامهم.

تتفرع الدلالة النفسية للعبارة السابقة إلى فرعين رئيسين متناقضين:

الأول: وهو الخفض؛ ويحيل إلى ربقة مشاعر سلبية منوطة بالندم، والحسرة على مافات، والخوف، والرعب من المآل بعذاباته الأبدية.

الثاني: وهو الرفع؛ ويحيل إلى ربقة مشاعر إيجابية منوطة بالفرح والغبطة والسرور والراحة والأمان المقترن بحسن المآل ونعيمه الأبدي.

يزج الخطاب الإلهي المتلقي في مواجهة مباشرة مع الدلالة النفسية لهذين الخيارين، وهنا تؤدي تلك الدلالة وظيفتها الفعالة التي تكمن في إثارة انفعالات المتلقي، ومدركاته في آن ليتعظ، ويتأمل ويختار مصيره قبل فوات الأوان، وهي الغاية العليا للنص برمته.

مثال ٢ :

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦

يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾[1].

﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾: ويقصد بهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة، بعد ظهور الحق بلا تباطؤ أوتثاقل، وقيل: هم الذين سبقوا إلى حيازة الفضائل، والكمالات، أو الأنبياء، فأولئك مقدمو أهل الأديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ يصفهم الله تعالى بالمقربون، ومآلهم أعلى درجات الجنة، ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ وهم كثير من الأولين أي الأمم السالفة من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله، وقليل من الآخرين يعني أمة محمد صلى الله عليه وآله. ﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴾ ويقصد بالموضونة المنسوجة بالذهب، مشبكة بالدر والياقوت، أو المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع، ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ حالان من الضمير في على سرر، ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بغرض خدمتهم ﴿ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴾ سيبقون أبداً على هيئة الولدان وطراوتهم، ﴿ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ ﴾ حال الشرب وغيره، والكوب هو إناء بلا عروة، ولا خرطوم له، والإبريق إناء له ذلك. ﴿ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴾ كأس خمر من شراب معين ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا ﴾ بخمار ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ لا تنزف عقولهم، أو يراد هنا لا ينفذ شرابهم، ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ أي مما يختارون، ﴿ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ مما يتمنون، ﴿ وَحُورٌ عِينٞ ﴾ عطف على ولدان ﴿ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴾ المكنون يعني المصون عما يضربه في الصفاء والنقاء، ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي ذلك كله جزاء بأعمالهم، ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴾ لغواً أي باطلاً، ﴿ وَلَا تَأۡثِيمًا ﴾ يراد لا

(١): الواقعة: ١٠ – ٢٦.

يقال لهم أثمتم، ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أي قولاً، ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ أي إلا أن يقولوا سلاماً[1].

دلالة الآيات النفسية:

بداية الصور الفنية القائمة على البنية التشبيهية التي وظفت في الخطاب الإلهي المذكور آنفاً لتؤدي مهام عديدة على مستوى الشكل، وعلى مستوى المضمون، وجاءت دلالاتها النفسية في تناغم تام مع الغرض العام للنص؛ إذ تستثمر طاقات التشبيه الإيحائية منها والتعبيرية والتكثيفية لخدمة الغرض العام، وهو هنا تحفيز المتلقي على الإيمان لنيل نعيم الجنات، ويسهب الخطاب الإلهي في عرض المغريات الحسية مراعياً طبيعة النفس البشرية القائمة على الحس بصورة محورية .

يستعرض الخطاب الإلهي مشهداً من مشاهد النعيم في الجنة التي أعدها للمؤمنين بغرض تحفيز المتلقي، وترغيبه، واستثارة انفعالاته لتغيير سلوكياته، وقيادتها باتجاه الإيمان، حتى يفوز هو الآخر – على صعيد فردي وجمعي- بما أعدَّ من أطايب النعيم، وهي هنا ذات طبيعة حسية، تخاطب حواس المتلقي جميعها:

حاسة التذوق حفزت بشهي الطعام ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾، ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، والشراب ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

وحاسة البصر حفزت بالجمال ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾. وحاسة السمع حفزت بطيب القول ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

وأما وجود ولدان يطوفون لخدمة المؤمنين ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾، والسرر الموضونة التي أعدت لراحتهم ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ فهي من وجوه الترف والرفاهية التي تنتظر المؤمنين من جملة النعيم المعد لهم في جناته جلّ وعلا،

(١): ينظر: ناصر الدين، تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥/ ١٧٨- ١٧٩.

يلاقون ذلك كله جزاء أعمالهم الحسنة، وإيمانهم، والتزامهم الصراط المستقيم.

بالعودة إلى الصورة التشبيهية في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ نجد أن الخطاب الإلهي يريد تصوير مدى جمال الحور العين وصفائهن ونقائهن، وصونهن فيشبههن باللؤلؤ المكنون، فجمعهما في أتون التشبيه، الأمر الذي كان من شأنه إزاحة السمات المقترنة بالمشبه به باتجاه المشبه، وعليه تنتقل صفات اللؤلؤ المكنون من اللون والهيئة وطريقة الحفظ وصعوبة الوصول إليه ونفاسته، وجودته، ونقائه، وصفائه، وقرينات تلك الصفات باتجاه المشبه وهو الحور العين.

حمل اللفظ (المكنون) المقترن باللؤلؤ ظلالاً نفسية تحيل إلى دلالة نفسية إضافية تتواتر قدرتها التأثيرية، وتتنوع بتنوع خلفيات المتلقي المعرفية والثقافية، وتجاربه الحسية، وبصورة عامة تثير لفظة (المكنون) ربقة من الانفعالات، والأحاسيس ترتبط بدورها بجملة الأخيلة والانفعالات التي تثيرها الصورة الكلية (وَحُورٌ عِينٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون) لما تتمتع به هذه الصورة من قدرة تكثيفية وإيحائية شكلت فيها الصفة ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ بؤرة دلالية تنضح بالطاقات التعبيرية والإيحائية التي تضاعف المعنى المركزي وهو جمال الحور العين بإضافة دوائر دلالية يبثها المعنى المركزي (الجمال) وتتعلق بمعاني النفاسة، والندرة، والصون، والنقاء، والبياض، والصفاء.

إن الخطاب في القرآن الكريم خطاب منظم وممنهج، ينتقي أدواته بعناية، ولأنه صادر عن خالق النفس البشرية لا ريب إذاً أن يكون الأكثر إحاطة بمفاتيحها، وأسرارها، وطرائق الدخول إليها والتأثير ففيها، ولذا يختار الخطاب المقام المناسب لاستمالة العواطف ويقود دفتها بالاتجاه المقصود بصورة قبلية؛ ولأن السياق هنا يلائمه الترغيب لا الترهيب عمد الخطاب الإلهي إلى استثمار الاستمالات العاطفية بغية «التأثير على وجدان المتلقي وانفعالاته، وإثارة حاجاته النفسية والاجتماعية، ومخاطبة حواسه، بما

يحقق أهداف القائم بالاتصال»[1]. ويتم انتقاء تلك الاستمالات العاطفية بعناية لتخاطب الإنسان بعاطفته أو جسده أو كليهما معاً وفق معايير دقيقة منوطة بمقتضيات السياق.

ولأنَّ السياق يقتضي الترغيب اختار الخطاب الإلهي الاستمالات العاطفية التي تخدم هذا الغرض باستعراض النعيم الذي غلب عليه هنا الطابع الحسيّ، بتعبير آخر استعرض الملذات الحسية التي تلبي في الإنسان جانبه الغريزي (طعام - شراب - جنس)، وعليه صبت الدلالات في القوالب اللغوية الملائمة التي توحي بتلبية الحافز الغريزي بأعلى مستويات اللذة والرفاهية ؛فمن الطعام أشهاه، ومن الشراب ألذه وأشرفه، ومن النساء أجملهن وأشرفهن وأنقاهن.

مثال ٣ :

قال تعالى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ۝٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ۝٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾[2].

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾ : أي شيء أصحاب اليمين؟ وما حالهم؟ وكيف مآلهم؟ ثم بيّن ذلك فقال تعالى ﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴾ : والمخضود هو الموقر الذي لاشوك فيه، ﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾ الطلح هو شجر عظام ينبت في الحجاز، ومنضود يراد متراكم الثمر، ومصفوف. ﴿ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴾ : أي ظل لا ينقطع فليس ثمة فيها شمس ولا حر، ﴿ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴾ : أي ماء يجري في غير أخدود، ﴿ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴾ : فواكه كثيرة متنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لا تنقطع البتة لا شتاء ولا صيفا، بل أكلها دائم

(١): معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص٥٣-٥٤.

(٢): الواقعة:٢٧-٣٨.

مستمر إلى الأبد أيّان طلبوها وجدوها، ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾: أي عالية، وطيئة، ناعمة ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي أعدنا إنشاءهن في الدار الآخرة بعدما كن عجائز رمصاً في الدنيا، وصرن أبكاراً عرباً، ﴿عُرُبًا﴾ أي غنجات متحببات إلى أزواجهن، ﴿أَتْرَابًا﴾: في الأخلاق المتواخيات بينهن، وليس بينهن حسد وبغضاء كما هو حال ضرائر الدنيا، ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: أي إنّا خلقنا ذلك كله لأصحاب اليمين[1].

دلالة الآيات النفسية:

يعود الخطاب الإلهي إلى الترغيب، فيستأنف وصف مشاهد النعيم المعدّ لأصحاب اليمين، ويمكننا ملاحظة الطابع الحسي أو بتعبير آخر مخاطبة الحواس مرة أخرى، وذلك في إطار تلبية الجانب الغريزي الحسي في الإنسان على اعتباره محركاً أساسياً، وموتيفاً فعالاً في توجيه سلوكيات الإنسان:

ففي النص القرآني المذكور خاطب القرآن حواس المتلقي وداعب غرائزه عبر صور حسية:

حسية بصرية: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ وتتفجر عند تلقيها دلالة نفسية تنضح بظلال اللون الأخضر، وبهائه، وانتعاش الهواء العليل الذي تنتجه تلك الأشجار والتمتع بظلها ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾.

حسية بصرية سمعية: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾؛إذ تستحضر صورة الماء الجاري إلى ذهن المتلقي، وترخي بظلالها على النفس التي يترقرق في سمعها صوت الماء الجاري وخرير المياه الذي يتعانق مع حركيته ليعطي دلالة الصورة النفسية بعداً دينامياً فعالاً، ويعمق أثرها في نفس المتلقي.

حسية بصرية ذوقية: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ وتتفتح حول

(١): ينظر: إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم -تفسير ابن كثير، ٧/ ٥٣٨.

التركيب دوائر الدلالة النفسية التي تستحضر إلى ذهن المتلقي صوراً وأخيلة للفاكهة المحتملة الوجود في الجنة بهيئتها، وألوانها، وطعمها، وهذه الصور الذهنية تختلف باختلاف المتلقي وميله لأنواع معينة من الفاكهة، وتفضيله بعضها دون الآخر، وعليه تتنوع بتنوع المتلقي وميوله.

حسية بصرية لمسية: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ بدوره يحفز هذا التركيب حاستي البصر واللمس وتستحضر إلى خيال المتلقي صور ذهنية لفرش عالية ناعمة الملمس جميلة المظهر، ودلالتها النفسية تتنوع بتنوع المتلقين وتفضيلاتهم لأنواع من الأقمشة دون غيرها، ولألوان معينة لتلك الفرش دون غيرها، وعليه تتباين ظلال الصورة الحسية هذه بتباين المتلقي وتفضيلاته.

حسية بصرية حركية: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ وتتفتح حول هذه العبارة دوائر دلالته النفسية التي تحفز في المتلقي حاسة البصر بصورة رئيسة، وتستحضر صوراً ذهنية لتلك الحور العين اللاتي يعيد الله تعالى إنشاءهن وتحويلهن من هيئة العجوز إلى الشابة البكر بحسنها وجمالها وغنجها ودلالها.

إن الاستراتيجية النفسية تقوم على آليات تتعلق بالاستمالات العاطفية - كما قلنا- والغاية العليا من توظيفها في النص القرآني تتمثل في «التأثير على وجدان المتلقي وانفعالاته، وإثارة حاجاته النفسية والاجتماعية، ومخاطبة حواسه، بما يحقق أهداف القائم بالاتصال»[1].

وهذا ما لمسناه في النموذج المختار أعلاه؛ إذ دغدغ الخطاب الإلهي حواس المتلقي، وخاطب فيه حاجاته وغرائزه بمستوياتها كافة مقدماً للمرء كل ما تشتهيه نفس بشرية من مغريات حسية من فاكهة وسبل راحة ونساء حسان أبكار، وهذه النقطة تخاطب غريزة الجنس، وهي المحرك الأقوى في الإنسان بصورة عامة.

(١): معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم،، ص٥٣-٥٤.

مثال٤:

قال تعالى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ۝٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[1].

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ ﴾: السموم هي ريح حارة، ﴿ وَحَمِيمٖ ﴾: ماء حار ﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴾: هو دخان شديد السواد، واليحموم اسم من أسماء النار، ﴿ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴾: لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر، ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ ﴾: أي كانوا في الحياة الدنيا ﴿ مُتۡرَفِينَ ﴾ أي منعمين ﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ ﴾: أي كانوا يقيمون ﴿ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ أي الذنب الكبير، ويراد به الشرك[2].

دلالة الآيات النفسية:

في الحقيقة إنّ الخوف يشكل أكثر الاستمالات العاطفية استعمالاً في خطاب القرآن الكريم المتعلق بتصوير عذابات الجحيم بصورة خاصة، واستمالات الخوف تحيل إلى النتائج غير المستحبة والكارثية الناجمة عن عدم إذعان المتلقي لتوصيات القائم بالاتصال، وتغيا هذه الاستمالة حمل المتلقي على الخضوع والاستجابة، بفعل شدة الإثارة العاطفية، من جهة، ويقين المتلقي بأنه مازال في مقدوره أن يكون في منأى عن ما يصفه الخطاب من الأهوال في حال أذعن واستجاب لمضامين الرسالة[3].

إن الترغيب الذي شهدناه في سياقات نصية تصور نعيم المؤمنين في الجنة يستحيل إلى ترهيب في مثل هذه السياقات التي تصور الطرف النقيض، وهو مصير الآثمين المكذبين الذين يصفهم الخطاب الإلهي هنا بأصحاب الشمال، ويوضح مصيرهم بشيء

(١): الواقعة: ٣١ – ٤٦.

(٢): ينظر: الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ٨/ ١٩.

(٣): ينظر: معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص٦٠.

من التفصيل عبر صب الدلالات في قوالب لغوية شديدة المواءمة والاتساق والتناغم مع محمولاتها المضمونية دون الابتعاد كثيراً عن مخاطبة الحس عبر صور حسية دينامية في الغالب:

حسية سمعية لمسية: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ﴾: تنبثق دوائر الدلالة النفسية حول الدلالة المركزية لهذه الصور الحسية التي تخاطب حاسة السمع (سَمُومٍ) حيث يدوي صوت الرياح في نفس المتلقي وتلفح بحرّها فؤاده فيتعانق السمع واللمس في هذه الدوائر، ويتضاعف الإحساس بالحر مع استحضار صورة ذهنية للماء الحار (يحموم) تضاف إلى الصورة الذهنية لرياح السموم.

حسية لمسية بصرية شمية ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٖ﴾: سرعان ما يتبادر إلى الذهن عند تلقي هذا التركيب صور ذهنية لماء ليس فقط حار، بل أيضاً نتن الرائحة، سيئ المنظر، فتتفعل الدلالة النفسية على مستويات حسية متنوعة تشمل حواس اللمس، والبصر، والشم، وتتنوع تلك الدلالة النفسية بتنوع الصور الذهنية المستحضرة في أذهان المتلقين وربقة المشاعر التي تخلفها في نفوسهم.

حسية لمسية ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾: تتجه الدلالة النفسية باتجاه الحرارة المرتفعة ثم تتنوع تشكيلاتها بتنوع المتلقين وخيالاتهم وتصوراتهم الذهنية، ومرجعياتهم عن الجحيم أو النار ثم يلقي اللون الأسود مع الدخان الكثيف بظلاله على المشهد المتخيل، ليضيف جواً خانقاً فوق قتامة المشهد، وتتباين حدته وهيئته ودرجته من متلق إلى آخر،وعليه تتباين حدة الانفعالات المنوطة به بتباين المتلقين.

تدعم الصور التجريدية أختها الحسية في الخطاب القرآني المذكور، وتصب في خدمة الغرض العام للنص، كما في اختياره الألفاظ بدقة في قوله ﴿عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ للتعبير عن الإثم المرتكب المستحق لكل ذلك الهول والتعذيب وهو الشرك، فاقترن الذنب بصفة العظمة التي أدت هنا معنى سلبي وأرخت بظلالها النفسية على التركيب

ومنه رجع صداها في نفس المتلقي الذي له أن يتخيل مدى بغض الشرك من إثم عند الله سبحانه حتى يصفه بالإثم العظيم.

مثال ٤ :

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾: ويقصد المشركين ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ الذين أنكروا الحشر ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ ستأكلون من شجر زقوم، والزقوم مر الطعم، حار الملمس، نتن الرائحة، وأسود المنظر لا يكاد آكله يسيغه، فيبتلعه عنوة، ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾: زيادة في بيان العذاب أي سيلزمون بملء البطون منه وليس فقط تذوقه، ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾: ولأن مرارة الزقوم وحراراته تجعل آكله محتاجاً لشرب الماء سيسقى أولئك لكن ماء حاراً، ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ بيان لزيادة العذاب أي لا يكون أمركم أمر من شرب ماء حاراً ومنتناً وحسب، بل يلزمكم أن تشربوا منه كشرب الجمال العطشى تشرب حتى الارتواء، ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يراد أن هذا العذاب ليس كل شيء، بل هو فقط أول ما يلقونه[2].

دلالة الآيات النفسية:

يستمر الخطاب الإلهي في اتباع الاستراتيجيات النفسية القائمة على استمالات الخوف، ويتابع تصوير مشاهد العذاب المعد للمشركين الضالين المنكرين ليوم الحساب،فيخاطب الحس في المقام الأول ليصف ألواناً من العذاب الحسي توازي

(١): الواقعة:٥١- ٥٦.

(٢): ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، ص١٥٢- ١٥٣.

النعيم الحسي المقابل المعد للمؤمنين؛ ففي حين يتمتع المؤمن بأشهى الطعام والشراب، يذوق الكفار مر الطعام ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ : ويشربون عليه حار الماء منتنه ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ ، وعند تلقي هذه الصور تتوالد الدلالات النفسية في ذهن المتلقي وتملأ الأحاسيس نفسه بانفعالات شديدة قوامها الخوف والرعب تنشط فيه الخبرات التراكمية القابعة في الذاكرة المعرفية والإدراكية ليتخيل المتلقي مدى العذاب المتضمن في المشهد؛ فيستحضر صور ذهنية لشجرة الزقوم ببغيض طعمها وهيئتها، والماء الحار ببغيض طعمه وهيئته، وعليه أن يضاعف كم الألم المتخيل لعملية التذوق من كليهما باستحضار صور ذهنية حسية بصرية ذوقية شمية تستوعب كم العذاب المقترن بملء البطن من مثل هذا الطعام، والشرب حد الارتواء من مثل هذا الماء، ثم بعد ذلك يضاعف هذا العذاب كله وصفه بأنه محض بداية في سلسلة العذاب ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ . وعليه تتنوع الدلالات النفسية المنبثقة عن تلقي الصور الحسية على اختلاف مستوياتها في النص بتنوع المتلقي وخبراته التراكمية وتصوراته الذهنية عن المعطيات الحسية المقدمة في قوالب لغوية غاية في الدقة والإتقان.

الخاتمة

بناء على ما توصل إليه البحث نوجز النتائج الآتية:

يستعرض الخطاب الإلهي في سورة الواقعة مشاهد متنوعة من مشاهد العذاب والنعيم في اليوم الآخر لأغراض وعظية دينية تحفيزية وترهيبية وأما وصفه المسهب لنعيم الجنة التي أعدها للمؤمنين فقد كان بغرض تحفيز المتلقي، وترغيبه، واستثارة انفعالاته لتغيير سلوكياته، وقيادتها باتجاه الإيمان، حتى يفوز هو الآخر – على صعيد فردي وجمعي- بما أعد من أطايب النعيم، وهي هنا ذات طبيعة حسية، تخاطب حواس المتلقي جميعها.

تبعاً لمقتضيات السياق يختار الخطاب الإلهي الاستهالات العاطفية التي تخدم الغرض الرئيسي للنص؛ ففي الترغيب يعمد إلى استعراض النعيم الذي غلب عليه الطابع الحسيّ، بتعبير آخر استعرض الملذات الحسية التي تلبي في الإنسان جانبه الغريزي (طعام- شراب- جنس)، وعليه صبت الدلالات في القوالب اللغوية الملائمة التي توحي بتلبية الحافز الغريزي بأعلى مستويات اللذة والرفاهية.

إن الترغيب الذي شهدناه في سياقات نصية تصور نعيم المؤمنين في الجنة يستحيل إلى ترهيب في السياقات التي تصور الطرف النقيض، وهو مصير الآثمين المكذبين الذين يصفهم الخطاب الإلهي هنا بأصحاب الشمال، ويوضح مصيرهم بشيء من التفصيل عبر صب الدلالات في قوالب لغوية شديدة المواءمة والاتساق والتناغم مع محمولاتها المضمونية، دون الابتعاد كثيراً عن مخاطبة الحس عبر صور حسية ودينامية في الغالب.

يعمد الخطاب الإلهي إلى اتباع الاستراتيجيات النفسية القائمة على استمالات الخوف، ويسهب في تصوير مشاهد العذاب المعد للمشركين الضالين المنكرين ليوم الحساب، فيخاطب الحس في المقام الأول ليصف ألواناً من العذاب الحسي توازي النعيم الحسي المقابل المعد للمؤمنين.

تتنوع الدلالات النفسية المنبثقة عن تلقي الصور الحسية على اختلاف مستوياتها في النص بتنوع المتلقي وخبراته التراكمية وتصوراته الذهنية عن المعطيات الحسية المقدمة في قوالب لغوية غاية في الدقة والإتقان.

تدعم الصور التجريدية أختها الحسية في الخطاب القرآني في سورة الواقعة، وتصب في خدمة الغرض العام للنص.

حملت كثيرٌ من الألفاظ المختارة في سورة الواقعة اللفظ ظلالاً نفسية تحيل إلى دلالة نفسية إضافية تتواتر قدرتها التأثيرية، وتتنوع بتنوع خلفيات المتلقي المعرفية والثقافية، وتجاربه الحسية، وبصورة عامة تثير تلك الألفاظ ربقة من الانفعالات، والأحاسيس ترتبط بدورها بجملة الأخيلة والانفعالات التي تثيرها الصورة الكلية التي تدخل تلك الألفاظ في تشكيلها عبر استثمار طاقات تلك الصور التكثيفية والإيحائية، لتكون تلك الألفاظ بؤراً دلالية تنضح بالطاقات التعبيرية والإيحائية التي تضاعف المعنى المركزي بإضافة دوائر دلالية يبثها المعنى المركزي لتلك الصور والألفاظ.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة،١٩٨٤.

٣. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت ط٨ ١٩٩٨م.

٤. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم -تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة،دار طيبة، ١٩٩٩ - ١٤٢٠هـ.

٥. بسام بركة، اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية، الفكر الغربي المعاصر، ع ١٨-١٩، ١٩٨٢.

٦. التهانوي العلامة محمد بن علي كشاف اصطلاحات الفنون التهانوي تحقيق د. رفيق العجم وآخرون. مكتبة لبنان ناشرون. ط: ١ -١٩٩٦م.

٧. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانكلومصرية، ١٩٩٠.

٨. تومان غازي، حسين الخفاجي، سيميائية إيقاع القرآن الكريم وفواصله – رسالة في إعجاز المستوى الصوتي،تموز للطباعة والنشر، دمشق،٢٠١٣.

٩. جوزيف فندريس،اللغة، ترجمة:عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٥٠ .

١٠. جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، مكتبة الأدب المغربي.

١١. جون لا ينز، علم الدلالة. ترجمة: مجيد عبد الحميد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٨٦.

١٢. الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد، معالم التنزيل -تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ١٩٨٩ - ١٤٠٩.

١٣. داود عبدة، دراسات في علم اللغة النفسي، جامعة الكويت،١٩٨٤.

١٤. ستيفن أولمان، در الكلمة في اللغة، ترجمة:كمال محمد بشر،مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٧٥.

١٥. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب، دار الفرقان، عمان،١٩٨٣ .

١٦. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ - ١٤٢٠هـ .

١٧. عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٢.

١٨. عواطف كنوش المصطفى،الدلالة السياقية عند اللغويين،دار السياب، لندن،٢٠٠٧.

١٩. لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب – بحث فلسفة اللغة والاستطيقا، دار المريخ،الرياض، ١٩٨٩.
٢٠. محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١.
٢١. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن- تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر.
٢٢. محمد جعفر العارضي، الأثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة،١٩٩٨.
٢٣. محمد جعفر محيسن،الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة القادسية،٢٠٠٢.
٢٤. محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير،دار الفكر، ١٩٨١- ١٤٠١هـ.
٢٥. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، ٢٠١٩.
٢٦. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٧. محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي،كلية الآداب، جامعة الكويت.
٢٨. مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، دار البلاغة للطباعة والنشر،١٩٧٩ .
٢٩. مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي،دار الأندلس، بيروت،١٩٨١.
٣٠. معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة،٢٠٠٣م،ط١.
٣١. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
٣٢. نوال زرزور، ابن جني وعلم الدلالة، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٨.
٣٣. هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عباد،عالم الكتب ١٩٩٠.